

القلب المسكين

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

فضحك صاحبنا وقال : حرك الصورة في يدك ، فأنها
ستراها وما تشك أنها ترقص
قلت : الآن انقطع شيطانك ، فهذا ليس شعرا ولا يبي
منه وزن

وتضاحكنا وضحك الشيطان ، وظهر الوجه الجميل في الرسم
كأنه يضحك

قال صاحب القلب المسكين : انظر إلى هاتين المينين ، إنهما
من الميون التي تفتن الرجل وتمجره متى نظرت إليه ، وتمذهبه
وتضنيه متى غابت عنه . إن في شعاعهما قدرة على وضع النور
في القلب السعيد ، كما أن في سوادهما القدرة على وضع الظلمة
في القلب المهجور ...

وانظر إلى هذا الفم ، إلى هذا الفم الذي تعجز كل حداثق
الأرض أن تخرج وردة حمراء تشبهه

وانظر إلى هذا الجيد تحته ذلك الصدر الماري ، فوفه ذلك
الوجه الشرق ؛ تلك ثلاثة أنواع من الضوء : أما الوجه فقيه
روح الشمس ، وأما الجيد فقيه روح النجم ، وأما الصدر فقيه
روح القمر الضاحي

انظر إلى هذه المسافة البيضاء من أعلى جبينها إلى أسفل
نهدبها ، تلك منطقة القُبُلَات في جغرافيا هذا الجمال ...

وانظر إلى الصدر يحمل ذينك الثديين الناهدين ؛ إنه
المرض الذي اختاره الطبيعة من جسم المرأة الجميلة للاعلان
من ثمار البستان ...

انظر إلى النهدين لم يَرَزَا في صدر المرأة إلا إذا كانا
يتحديان الصدر الآخر ؟

وانظر لهذا الخصر الدقيق وما فوقه وما تحته ، ألا تراه
فتنة متواضعة بين فتنتين متكبرتين ؟

انظر إليها كلها ، انظر إلى كل هذا الجمال ، وهذا
السحر ، وهذا الاغراء ؛ ألا ترى الكثرة التي يحول القلب
إلى لمن ؟

هذه مخلوقة مهتتين ، إحداهما من الله في العالم ، والأخرى

أقبل على صاحبي الأديب وقال : أنظر هذه هي ، وقد حلت
بهذا البلد وما لي عهد بها منذ سنة . ومدّ إلى يده فنظرت إلى
صورة امرأة كأحسن النساء وجهاً وجسماً ، وتأوّد في غلالة
من اللاذ ^(١)

وكان شعاع الضحى في وجهها ، وكأنها القمر طالماً من
غيمة ، ويكاد صدرها يتهد وهي صورة ، وتبدو هيئة فما كأنها
وعند يقبله ، وفي عينها نظرة كالسكوت بعد الكلمة التي قيات
هنأ بينها وبين مجها ...

قلت : هذه صورة ما أراها قد رسمها إلا اثنان : المصور
وابليس . فمن هي ؟

قال : سلها ، أما تراها تكاد تنسب من الورقة ؟ إنها
إلا تخبرك بشيء أخبرك عنها وجهها أنها أجل النساء وأظرفهن
وأحسن من شاهدت وجهاً وأعيناً ، وثوراً وجيداً ، والذي
بعد ذلك ...

قلت : ويحك ، لقد شعرت بمدى ، إن هذا شعر موزون
وأحسن من شاهدت وجهاً وأعيناً

وثوراً وجيداً والذي بعد ذلك ...

قال : إن شيطان هذه لا يكون إلا شاعراً ؛ ألسنت تراه
ناظلاً من فنونها على الرسم شعراً مجزاً كل شاعر ؟

قلت : وهذا أيضاً شعر موزون :

ألسنت تراه ناظلاً من فنونها

على الرسم شعراً مجزاً كل شاعر

قال : بل والله إنه الشيطان ، إنه شيطانها يريك لهذا الجسم
روحاً رشيقة ، تلين كلين الجسم بل هي أرشق

قلت : وهذا أبسك ، والقافية التي بعد هذا البيت : وبها
شقوا

(١) اللاذ الحرير الصيني الرقيق ، والغلالة مثل القمصين التي تحت الحجاب

قلت : اللهم رحمة ؛ ثم ماذا يا صاحبي المسكين ؟
قال : ثم هذه التي أحبها هي التي لا أريد الاستمتاع بها ،
ولا أطيعه ولا أحد في طبيعتي جرأة عليه ، فكأنها الذهب
وكأنني الفقير الذي لا يريد أن يكون لصاً . يقول له شيطان المال :
نستطيع أن تطمع ؛ ويقول له شيطان الحاجة : وتستطيع أن
تفعل ؛ ويقول هو لنفسه : لا أستطيع إلا الفضيلة
إن عذاب هذا بشيطينين لا بشيطان واحد ، غير أن لذته
في انتصاره كاذبة من يقهر بطلين كلاهما أقوى منه وأشد

قلت : اللهم عفوا ؛ ثم ماذا يا قاهر الشيطانين ؟
فأطرق ملياً كالذي ينظر في أمر قد حيره لا يتوجه له
في أمره وجه ، ثم تنهد وقال : يا طول علة قلبي . من أين
أجىء لأحلامي بنير ما تجيء الأحلام به ، وإنما هي تحت النوم
ووراء العقل وفوق الإرادة ؟ لقد بلغ بي هواها أن كل كلمة
من كلام الحب في كتاب أو رواية أو شعر أو حديث — أراها
موجهة إلى أنا

ثم قال : انطلق بنا فتراها حتى نعلم منها علما فهي في ذلك
الشرح ، هي في ذلك الشر ، هي في تلك الظلمات ، هي كاللؤلؤة
لا تترى لؤلؤة إلا في أعماق بحر

وذهبتنا إلى مسرح يقوم في خديقة غناء مترامية الجهات
بسيده الأطلال تظهر تحت الليل من ظلماتها وأنوارها كأنها
مُشَقَّلَةٌ بمعنى الهجر والمشق

وتقدمنا نسير في الفَبَش ، فقال صاحبنا الحب : إني
لأشعر أن الظلام هنا حتى كأن فيه غوامض قلب كبير فأرى
فرقا بين أن أجلس فيه وبين الجلوس إلى فيلسوف عظيم مهوم
بهمم الانهائية . فتعال نبرز إلى ذلك النور حول المسرح لنراها
وهي مقبلة فإن رؤيتها سيده غير رؤيتها راقصة ، ولهذا جمال
فن ولتلك فنٌ جمال

ولم نلبث إلا يسيرا حتى وافت ، ورأيتها تمشي مشية
الخفريات كأنما تحترم أفكار الناس ، يزهوها على ذلك إحساس

من حبي أنا في نفسي أنا ، فكلمة « جميلة » التي تصف المرأة
التامة ، لا تصفها هي إلا بعض الوصف ؛ ورسمها هذا الذي تراه
إنما هو حدود لتلك الروح التي فيها قوة التسلط ، وهيئات يُظهر
من تلك الروح إلا ما يُظهر من الجمرة المشتعلة رسم هذه الجمرة
في ورقة

أشهد ما نظرت مرة إلى هذا الرسم ثم نظرت إليها
إلا وجدت الفرق بينها في نفسها وبينها في الصورة ، كأنه
اعتذار ناطق من آلة التصوير بأنها ليست إلا أداة ...

قلت : اللهم غفراً ؛ ثم ماذا يا صديق المجنون ؟
فأطرق الأديب مهموماً ، وكانت أفكاره تنفجر في دماغه
انفجارا هنا وانفجارا هناك ؛ ثم رفع إلى رأسه وقال :

هذه الغاية قد حبست أفكارى كلها في فكرة واحدة
منها هي ؛ وأغلقت أبواب نفسي ومنافذها إلى الدنيا ، وألحبت
في دى جمرة من جهنم فيها عذاب الاحراق وليس فيها الاحراق
نفسه كيلا ينتهي منها العذاب

وبيننا حبٌ بنير طريقة الحب ، فإن طبيعتي الروحانية
الكاملة تهوى فيها طبيعتها البشرية الناقصة ، فأنا أمارجها
بروحى فأنا لها ، وأتجنبها بيمسى فأنا لها

حبٌ عقيم مهما يكن من شيء فيه لا يكن فيه شيء
من الواقع

حب عجيب لا تنتفي منه آلامه ولا تكون فيه لذاته
حب معقد لا يزال يلقى المسألة بعد المسألة ، ثم يرفض الحل
الذي لا يحل المسألة إلا به

حب أحق بعشق المرأة المبذولة للناس ، ولا يراها لنفسه
إلا قدسية لا مطعم فيها

حب أبله لا يزال في حقائق الدنيا كاللتنظر أن تقع على
شفتيه قبله من الفم الذي في الصورة

حب مجنون كالذي يرى الحسناء أمام مرآتها فيقول لها :
اذهبي أنت وستبقى لي هذه التي في المرأة ...

قال : لا بد

قلت : إن المصباح في الموضع النجس لا يبعث النور نجسا ،
وما أشعر إلا أن النور الذي في قلبي قد امتزج بالنور الذي
في عينها

ثم كأنها أحسَّت بأن إنسانا قد امتلأ بها فأدارت وجهها
وهي ترقص فتلمحت صاحبنا وجهه لم تقطع الطرفَ بينها
وبينه كأنها تعرفه وتجهله ، ثم تبيّنت إلحاح نظره فضحكت
لأنها تعرفه ولا تجهله

أما هو ، أما المجنون ، أما صاحب القلب المسكين ؟

(لها بنية) طنطا *سندريلا*

(تنبيه) تلقينا كتابا كثيرة يريد أصحابها مثل مقال (السمكة) وسنصاد
لهم إن شاء الله

لجنة التأليف والترجمة والنشر

ضحى الإسلام

الجزء الثالث

للاستاذ

إبراهيم الفينقي

يبعث في عقائد الفرق الدينية في العصر الباسي
الأول من معتزلة وشيعة ومرجئة وخوارج ، كما يبحث
في التاريخ السياسي لكل فرقة وفي أدبها

يقع في نحو ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير ومثمه
عنرون قرشا عدا أجرة البريد . وسيظهر يوم ١٠ نوفمبر

سنة ١٩٣٦

ويطلب من لجنة التأليف ومن المكاتب الشهيرة

نبيل كأحاسس الملكة الشاعرة بحجة شعبيها . وانتفض مجنوننا
وأغمض عينيه كأنها تمر بين ذراعيه لا في طريقها ، وكأن لذة
قربها منه هي الممكن الذي لا يمكن غيره .

وكان محبباً من العجب أنت تحرك الهواء في الحديقة
واضطربت أشجارها فقال : أنت ترى . فهذا احتجاج من
رافصات الطبيعة على دخول هذه الراقصة . قلت : آه يا صديقي !
إن المرأة لا تكون امرأة بعمانيها إلا إذا وجدت في جو قلب بمشقة
ونفذنا إلى المسرح ونحرمي صاحبنا موضعا يكون فيه
منظر العين من صاحبه ويكون مستخفيا منها . ثم رُفع الستار
عنها بين اثنتين يكتنفانها ، وقد لبس ثلاتين أثواب الريفيات
وظهرن كمهينتين حين يجنين القطن

وبرزت (تلك) في ثوب من الحرير الأسود وهي بيضاء
يابض القمر حين يتم ، وقد شدت وسطها بمشدّة من الحرير
الأحمر فتجسّكت بها وظهرت شيئين : أعلى وأسفل ، ثم
ألقت على شعرها الذهبي قلنسوة حمراء من ذلك الحرير أمالته
جانبا فخبست شيئا منه وأظهرت سائر . وأخفت يديها
صفاقتين (١) وأقبل الثلاث يرقصن وينتقن نشيد الفلاحة

لم أنظر إلى غيرها فقد كانت صاحبها دليلين على جمالها
لا أكثر ولا أقل . وما أحسب الحرير الأحمر كان معها أحمر
ولا الأسود كان عليها أسود ، ولا لون الذهب في منصفهما
كان لون الذهب . كلاً كلاً هذه ألوان فوق الطبيعة لأن ذلك
الوجه يُشرق عليها بالجلال والحياة ، وذلك الجسم يفيض لها
بالخفة والطرب ، وتلك الروح تبعث فيها الروح والنشوة ؛ هذا
مزيج من خمر الألوان لا من الألوان نفسها

وقال مجنوننا : إن أجمل الجلال في المرأة الفاتنة هو ذاك الذي

يحمل لكل إنسان نوع شعوره بها ، وأنا أشعر الساعة أن قلبي
نصف قلب فقط وأن نصفه الآخر في هذه وحدها ، فإ
شعورك أنت ؟

قلت ، يا صديقي إن الله رحيم ، ومن رحمته أنه أخفى القلب
وأخفى براعته ليظل كل إنسان محبواً لمن كل إنسان ، فدعني
محبواً منك

(١) الصفحات هي التي يقال لها الساجات تكون في أصابع الراقصة ،
والكلمة واردة في كتاب الأغانى